

## منهج تدوين العلوم الإسلامية

د. حسن علي الشايقي (★)

### مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن المنهج الذي دونت به العلوم الإسلامي التي تشمل القرآن والتفسير والحديث والسيرة والتاريخ واللغة والأدب وهل كان هذا المنهج منهجاً علمياً له سمات وملامح أم لا؟  
بين الباحث أن المنهج الإسلامي يقوم على توحيد الله سبحانه وتعالى ورد العلم المطلق إليه سبحانه وتعالى.  
وهو منهج يقوم على الأصالة والانفتاح والقدرة على حماية الذات وقبول الآخر.

وقد قسم البحث إلى أربعة محاور:

المحور الأول: وضح فيه منهج تدوين القرآن الكريم وقد تم تدوينه بواسطة النبي ﷺ وعدد كبير من كتاب الوحي من الصحابة وكان بعضهم يحفظون القرآن عن ظهر قلب، واستمر هذا المنهج في خلافة أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان حيث أعيدت كتابة القرآن الكريم اعتماداً على لغة قريش وأرسلت المصاحف إلى أقاليم الدولة الإسلامية آنذاك.

(★) أستاذ مشارك الدراسات الإسلامية، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

والمحور الثاني: هو الحديث النبوي حيث ابتكر المسلمون على الجرح والتعديل الذي يهدف إلى معرفة أحوال الرواة والتأكد من علاقتهم وتوثيقهم ومراتبهم. وهو علم تتميز به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم. وقد قسم الحديث نتيجة لهذا العلم إلى حديث صحيح وحسن وضعيف.

والمحور الثالث هو محور السيرة والتاريخ الإسلامي وقد اعتمد كتاب السيرة على القرآن الكريم والحديث النبوي وكتب السيرة والتراجم وبين أن مؤلفي السيرة الأوائل هم من أبناء الصحابة والتابعين، وقد انتهت على السيرة إلى محمد بن إسحق المتوفى في 150 هـ وكل من جاء بعده كان عيال عليه في أخذ السيرة النبوية كما قال الإمام الشافعي: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحق.

أما اللغة والأدب فقد سار علماءها على نفس المنهج ورحلوا إلى البادية ودونوا اللغة عن أهلها غضة طرية ولهم منهج في الجرح والتعديل ولكنه لا يرقى إلى منهج علم الحديث.

وخلص الباحث إلى أن المنهج الذي دونت به العلوم الإسلامية منهج علمي رصين سبق به المسلمون الغرب حيث انتقل المنهج العلمي من ديار الإسلام إلى أوروبا وغيرها.

### Abstract

The aim of this study is to demonstrate the methodology adopted in documenting Islamic sciences, which include the text of the Quran, its interpretation, prophetic tradition, prophetic biography,

Islamic history, language and literature. The study also investigates whether that methodology is scientific, and whether it has its own distinguished characteristics. The researcher shows that the Islamic methodology adopts monotheism and the absolute knowledge of Allah as its criteria.

It is a methodology that is at the same time original and open- minded, and at the same time self-protective and recognizes the other.

The research is divided into four axes. In the first axis, the researcher discusses the methodology followed in recording the text of the holy Quran by the Prophet himself – Pbuh – and a considerable number of his Companies who shouldered this job, most of them knowing the text by heart. This methodology continued in the eras of Caliph Abu-Bakr and Caliph Othman, who sponsored the rewriting of the text, strictly following the Quraishi spelling, and sent copies of the edited text to the different territories of the state. As for the second axis – the prophetic tradition – the Muslims invented the unique science of character-

scrutiny, whose subject is the close study of the biography of every narrator, verifying their authority, their ranks and their flaws. No other nation has ever applied the sciences of character scrutiny. This science of prophetic tradition classifies hadiths into three categories: authorized, sound and weak.

The third axis is Sirah and Islamic history. The authors of sirah depended on the holy Quran, the hadiths and the sirah and biographical references. The researcher shows that the early sirah authors were the children of the Companions and the Followers; the highest authority therein being Muhammad ibn Eshaq, on whose work depended all those who came after him. Imam Al-Shafiee said: Whoever wanted to delve deep in sirah is a dependent of Muhammad ibn Eshaq.

The linguists and literature documenters adopted the same methodology, making long trips into the Bedouin territories and receiving the language fresh from their tongues. They had their own authentication methodology, which was not as tight as that of the hadith scientists'.

The researcher concludes that the methodology adopted in documenting the Islamic sciences is strictly scientific , and the Muslims were the model afterwards followed by the westerners when the Muslims ruled a part of Europe.

### المقدمة:

الحمد لله القائل: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (1)، والقائل {رَبِّعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (2)، والصلاة والسلام على نبيه الكريم الذي خاطبه ربه بقوله: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} (3).

وبعد فإن الحديث عن منهج تدوين العلوم الإسلامية يتصل بالحديث عن منهج الله في الكون وفي خلق الإنسان الذي يعرضه القرآن في آيات كثيرة مبينا فيه أهمية العلم في بناء الكون ومبينا منهج إدراكه ووسائل التوصل إليه وأساليب التحقق من صدقه ومبلغ ذلك أن العلم كله لله، ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا تَذِيرٌ مُبِينٌ} (4)، وارتبط العلم كذلك بخلق آدم أبي البشر وتكريمه بالعلم وأمر الملائكة بالسجود له في قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِلُوا بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

(1) سورة الزمر الآية: 9.

(2) سورة المجادلة الآية: 1.

(3) سورة النساء الآية: 113.

(4) سورة الملك الآية: 26.

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿۳۱﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ  
غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿۳۲﴾ (1).

وقد قبل الإنسان التكليف بخلافة الله في الأرض بسبب هذا التكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (2).

فالمسلمون هم أمة العلم بحق وحقيقة وذلك من واقع آيات الكتاب وأحاديث النبي الكريم الذي حث على العلم وكرم أهله وطلابه حينما قال: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) (3).

الهدف من كتابه هذا البحث محاولة المعرفة والكشف عن المنهج الذي كتبت ودونت به العلوم الإسلامية التي تشمل القرآن الكريم والحديث الشريف والتفسير والسيرة والتاريخ والأدب واللغة، وهل كان هذا المنهج منهاجاً علمياً له سمات وملامح أم لا؟

وكما أسلفت في مطلع هذه المقدمة فإن القرآن يرجع العلم كله لله سبحانه وتعالى، ويوجه عقل الإنسان إلي التفكير في آيات الكون وظواهره ومعرفة قوانينه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ (4)، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿۳۱﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿۳۲﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿۳۳﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿۳۴﴾﴾ (5).

(1) سورة البقرة الآيات: 31، 32، 33.

(2) سورة الأحزاب الآية: 72.

(3) أخرجه الترمذي (2682) من حديث أبي الدرداء وذكره الألباني في صحيح أبي داود وقال: محقق جامع الاصول، إسناده حسن.

(4) سورة العنكبوت الآية: 20.

(5) سورة الغاشية الآيات: 17، 18، 19، 20.

إذا فالمنهج الإسلامي منهج توجيهي يقوم على توحيد الله سبحانه وتعالى ورد العلم المطلق إليه وهو خالق الكون والإنسان ولو جاز لنا أن نصف هذا المنهج بكلمة واحدة تحمل كل معانيه وتعبّر عن حضارته فهي كلمة (لا إله إلا الله) فهي عنوان التوحيد والحضارة الإسلامية.

ومن سماته كذلك أنه يجمع بين الأصالة والانفتاح، فالحكمة ضالة المؤمن وقد جعل النبي ﷺ طلب العلم فريضة في قوله: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)<sup>(1)</sup>.

ولقد انفتح المسلمون على الأمم الأخرى وأخذوا من علوم اليونان والرومان وترجموها إلى اللغة العربية في حركة علمية ضخمة في فترات مختلفة كان أبرزها في الدولة العباسية في خلافة المأمون رحمه الله.

إذا فالمنهج الإسلامي يجمع بين الأصالة والانفتاح والقدرة على حماية الذات وقبول الآخر.

وقد رأيت أن أقسم هذا البحث إلى محاور.

المحور الأول:

القرآن والتفسير.

المحور الثاني: الحديث.

المحور الثالث: السيرة والتاريخ.

المحور الرابع: اللغة والأدب.

(1) رواه ابن ماجة ج (224) ورغم تضعيف الإمام النووي له فقد قال المزني: روى من طرق تبلغ الحسن وقد رأيت له خمسين طريقاً.

## تدوين القرآن الكريم:

تلقى النبي ﷺ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام خلال ثلاث وعشرين سنة كان ينزل خلالها منجماً، السورة أحياناً والآية والآيات أحياناً أخرى حسب ما تقتضيه حكمة العليم الخبير وكان النبي ﷺ في بداية الأمر يجهد نفسه حرصاً على ألا يفوته منه أي شئ ونزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (1).

وتعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه وصونه من التحريف والتغيير والتبديل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (2).

وهياً له الأسباب وسخر له أهله وخاصته، وكانت الأمة الإسلامية على امتداد التاريخ تصرف جهدها وعنايتها في خدمة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولقد تم التسجيل الكتابي للقرآن الكريم في حياة الرسول ﷺ وقبل التحاقه بالرفيق الأعلى، إذ كان يسارع بعد أن ينزل عليه الوحي، فيدعو أحد كتبة الوحي ويملي عليه ما أنزل فيكتبه على الموجود من المواد، جلد أو عظم أو أصول جريد النخل أو حجر رقيق أملس أو على قرطاس من ورق البردي حيناً، وكان معروفاً لدى العرب:

قال حسان: عرفت ديار زينب بالكثيب

كخط الوحي في الورق القشيب (3).

(1) سورة القيامة الآيات: 16، 17.

(2) سورة الحجر الآية: 9.

(3) ديوان حسان بشرح البرقوني، ص: 14.



وكان أكثر الصحابة كتابة للوحي أمام النبي ﷺ زيد بن ثابت وابي بن كعب وقد أحصى ابن حجر رحمه الله من كانوا يتناوبون كتابة الوحي فوجدهم خمسة عشر رجلاً<sup>(1)</sup>.

ولقد كان كثير من الصحابة يحفظون القرآن واشتهر منهم عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو الدرداء، وما لحق رسول الله ﷺ بالرقيق الأعلى إلا وقد دُونَ القرآن كله وحفظه كثير من الصحابة الكرام، ولكنه لم يجمع في كتاب واحد.

### الجمع الأول للقرآن:

كان الجمع الأول للقرآن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد روى البخاري عن زيد بن ثابت، قال: (ارسل إلي ابوبكر الصديق مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبوبكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنني أخشى أن يستمر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنني أريد أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نعمل شيئاً لم يفعله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبوبكر: إنك شاب لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتنبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتنبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال، وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجد لها مع غيره {لَقَدْ جَاءكُمْ

(1) صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن، ص: 69.

رَسُولٌ مِنْ أَهْسِكُمْ<sup>(1)</sup>. حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصه بنت عمر<sup>(2)</sup>.

وقد أقرّ الصحابة بإجماع ما فعله أبوبكر رضي الله عنه وروي عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه قال: (أعظم الناس أجرا في المصاحف أبوبكر، فإنه أول من جمع بين اللوحين)<sup>(3)</sup>.

### المصحف العثماني:

في خلافة سيدنا عثمان التي استمرت من عام 23هـ حتى عام 34هـ وفي عام 25هـ شارك الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان في غزوة أرمينية، وقد وجد اختلافا في قراءة الجند، وقد جمع المعسكر الجند القادمين من الشام والقادمين من العراق وكان جند الشام يقرأون بقراءة أبي ابن كعب رضي الله عنه وجند العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وحدث اختلاف بينهم.

خشى حذيفة أن يتطور الأمر فيختلف المسلمون حول القرآن كما اختلف اليهود والنصارى حول التوراة والأنجيل، فقدم المدينة وأخبر عثمان بما سمع وعبر عن خشيته لما سوف يحدث مستقبلا من جراء الاختلاف حول قراءة القرآن<sup>(4)</sup>.

قام عثمان رضي الله عنه بتكوين لجنة برئاسة زيد بن ثابت رضي الله عنه وعضوية كل من:

(1) سورة التوبة الآية: 127.

(2) البخاري بحاشية السندي 2/2256.

(3) السجستاني، كتاب المصاحق، ص: 5.

(4) الطحاوي، مشكل الآثار 4/193.

- [1] سعيد بن العاص قرشي - أموي توفي 59هـ.  
 [2] عبد الله بن الزبير - قرشي - أسدي توفي 73هـ.  
 [3] عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قرشي - مخزومي - توفي 43هـ.

وقد قال عثمان رضي الله عنه عندما كلف هؤلاء الصحابة بهذه المهمة: إذا اختلفتم وزيد في كتابة كلمة ما، فاكتبوها وفق لسان قريش لأنه نزل بلسانهم<sup>(1)</sup>.

ولما فرغت اللجنة من كتابة النسخة الأولى روجعت على المصحف الذي جمعه زيد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فوجدت مطابقة له، فسر عثمان بذلك<sup>(2)</sup>. ثم جمع من الناس ما كان عندهم من مصاحف أو سور أو آيات فأحرقها، وامتنع ابن مسعود أول الأمر من تسليم مصحفه ثم أذعن<sup>(3)</sup>.

#### أسباب اختيار زيد رئيساً للجنة:

لقد اجتمع في زيد رضي الله عنه من المؤهلات ما لم يجتمع في سواه من الصحابة فقد كان من كتبة الوحي بين يدي النبي ﷺ وحفظ القرآن كله قبل انتقال النبي ﷺ للرفيق الأعلى وعرض القرآن على النبي ﷺ بعد العرضة الأخيرة، وكان قد تولى الجمع الأول في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، كما كان له معرفة بلسان الفرس والروم والقبط والحبش، فقد كان من الذين يترجمون كلام هذه الأمم للنبي ﷺ<sup>(4)</sup>.

(1) ابن حجر، فتح الباري، 7/9 كتاب المصاحف.

(2) الطحاوي - مشكل الآثار 193/4.

(3) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص 71.

(4) المسعودي - التنبيه والإشراف، ص: 246، دار التراث بيروت.

وقد أجمع الصحابة على ما فعله عثمان رضي الله عنه، فقد اجتمع الناس على قراءة واحدة ورد عثمان الصحف إلى حفصة وبعث إلى كل أفق بمصحف من المصاحف واحتبس بالمدينة واحدا هو مصحفه الذي يسمى الإمام، وبهذا العمل العظيم قطع عثمان دابر الفتنة وحسم مادة الخلاف وحصن القرآن من أن يتطرق إليه شئ من الزيادة والتحريف على مر العصور وتعاقب الزمان.

### القراءة بعد عصر الصحابة:

انتهج علماء القراءات أسلوبا علميا دقيقيا في انتقال قراءة القرآن من المعلم إلى المتعلم فلم يكن الأستاذ يأذن لتلميذه بالقراءة إلا بعد أن يسمع التلميذ من الأستاذ أولا، ثم يعرض على أستاذه ما سمعه منه وذلك لكي يستوثق الأستاذ من حسن أداء تلميذه وقد حمل رجال الحديث النبوي في تحمل السنة شيئا قريبا من هذا وزاد عليهم علماء القراءات سماع الشيخ من تلميذه<sup>(1)</sup>.  
وقد جعل العلماء للقراءة الصحيحة ثلاثة أركان هي:-

[1] أن تكون موافقة للغة العربية.

[2] صحيحة الإسناد.

[3] موافقة في الرسم لأحد المصاحف العثمانية الأئمة.

ويرجع بعض العلماء القراءة الصحيحة إلى صحة الإسناد فقط لأن الاعتماد في نقل القرآن الكريم على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وتلاحظ أن ما يعنيه القراء بصحة الإسناد هو ما يعنيه علماء الحديث وإليك نص ابن الجزري وهو من الأئمة المعدودين في هذا الشأن:

(1) ابن الجزري - النشر في القراءات العشر 10/1.

وقولنا وصح سندها فإننا نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله، كذا حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم. وهكذا نلاحظ أن الأئمة يشترطون زيادة على العدالة الاتصال من أول السند إلى منتهاه وأن تكون مشهورة لدى أئمة هذا الشأن.

يقول الإمام الداني: (وأئمة القراء لا تعمل في حروف القرآن على الأفضى في اللغة، إذا ثبت عنهم لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها<sup>(1)</sup>).

في بداية القرن الرابع جمع أبوبكر بن مجاهد سبع قراءات وهي التي تسمى السبع: قراءة ابن كثير المكي ونافع بن أبي نعيم المدني وعبد الله بن عامر الدمشقي وأبي عمرو بن العلاء البصري وعاصم الكوفي وحمزة الكوفي والكسائي الكوفي، وقد لامه كثيرون على اقتصاره على السبعة حتى لا يوهم أن قراءتهم هي المقصودة بالحديث. (أنزل القرآن على سبعة أحرف)<sup>(2)</sup>.

والحق المحققون بالسبع قراءة ثلاثة وهم: يعقوب الحضرمي وكان إماماً كبيراً وثقة صالحاً انتهت إليه رئاسة القراءة بعد أبي عمرو بن العلاء وكان إمام جامع البصرة سنين، وخلف بن هشام البزار، وكان اماماً كبيراً ثقة زاهداً عابداً وأبو جعفر بن يزيد القعقاع المدني، تابعي جليل وهو شيخ نافع بن أبي نعيم، واعتنى الناس بهذه القراءات العشر التي انتشرت بينهم، أصبح كل مصر

(1) ابن الجزري - النشر في القراءات العشر 10/1 .

(2) رواه الترمذي عن أبي قال : لقي رسول الله جبريل فقال: يا جبريل أني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، فقال يا محمد: إن القرآن أنزل علي سبعة أحرف، جامع الترمذي 52/3، تحفة الأحمدي.

من الأمصار الإسلامية يقرأ بقراءة قارئ وكانت الأمة تتلقاها جيلا عن جيل حتى جمعها الحافظ ابن الجزري المتوفي (833هـ) في كتابه (النشر في القراءات العشر).

بعد أن نقلها بأسانيده المتعددة المنتقاة التي يصفها هو فيقول: لم نذكر فيها إلا من ثبت عندنا أو عند من تقدم من أئمتنا عدالته وتحقق لقيه لمن أخذ عنه وصحت معاصرته<sup>(1)</sup>.

وهكذا نجد أن المعول في نقل كتاب الله مع تواتره ونقل الكافة عن الكافة لا يتلقى إلا عن الثقات العدول ومن كان يشذ أو كان يخالف من حروف بدون حجة يعد من جملة الضعفاء أو المتروكين.

وهذه العناية المبكرة من رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ثم الأمة الإسلامية جيلا بعد جيل والتي حظي بها كتاب الله، ما هي إلا تحقيق لقوله سبحانه وتعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} <sup>(2)</sup>.

ويمكننا القول إن منهج تدوين القرآن الكريم وحفظه هو المنهج الأساسي في تدوين العلوم الإسلامية وكانت ضوابطه هي الأعلى من حيث التلقي والتدوين بواسطة السماع المباشر والتلقي والحفظ، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه. وجاء تدوين العلوم الأخرى على هذا المنهج العلمي الدقيق ولكن بدرجات متفاوتة تقل عن درجة الضبط والإتقان في تدوين القرآن الكريم.

### علم التفسير:

عرف الزركشي علم التفسير بقوله:

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1/193.

(2) سورة الحجر الآية: 9.

(علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه)<sup>(1)</sup>.

وقد استعمل القرآن في أسلوبه الحقيقة والمجاز والتصريح والكناية والإيجاز والأطناب على نمط العرب في كلامهم، غير أن القرآن يعلو على غيره من الكلام العربي بمعانيه الرائعة التي افتن بها في غير مذاهبهم ونزع منها إلى غير فنونهم تحقيقاً لإعجازه ولكونه من لدن حكيم عليم<sup>(2)</sup>.

ولقد فهم النبي ﷺ القرآن جملة وتفصيلاً بعد أن تكفل الله بحفظه وبيانه وكذلك فهم الصحابة القرآن جملة في ظاهره وأحكامه وكانت تخفي عليهم بعض المعاني إذ لم يكونوا في درجة واحدة في فهم القرآن ومعانيه وذلك راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم وتفاوتهم في العلم فقد كان منهم من يلزم النبي ﷺ فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره. قال مسروق: جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالأخاذ (يعني الغدير) - فالأخاذ يروي الرجل والأخاذ يروي الرجلين والأخاذ يروي العشرة والأخاذ يروي المائة، والأخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم<sup>(3)</sup>.

ويدل على هذا ما روى أن عمر بن الخطاب قرأ وهو على المنبر {أَوْ بِأَخَذَهُمْ عَلَى تَحُوفٍ}<sup>(4)</sup>. ثم سأل عن معنى التخوف فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص ثم أنشده.

تخوف الرجل منها تامكاً قرداً

(1) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن 174/2.

(2) السيوطي، الإتيان 113/2.

(3) الذهبي، التفسير والمفسرون 33/1 ط الثانية 1396هـ - 1976م.

(4) سورة النحل الآية: 47.

## كما تخوف عود النبعة السفن

وما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال "كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما، أنا فطرتها والآخر يقول أنا ابتدأتها<sup>(1)</sup>.

## مصادر التفسير:

أولاً: القرآن: وذلك بأن ينظر نظرة فاحص مدقق ويجمع الآيات التي في موضوع واحد ثم يقارن بعضها ببعض، فإن من الآيات ما أجمل في مكان وفسر في مكان آخر ومنها ما أوجز في موضع وبسط في موضع آخر فيحمل المجمل على المفسر، ويشرح ما جاء موجزاً بما جاء مسهباً مفصلاً وهذا ما يسمى تفسير القرآن بالقرآن.

ثانياً: النقل عن رسول الله ﷺ مع الاحتراز من الضعيف والموضوع، فإذا وقع له تفسير صحيح عن رسول الله ﷺ فليس له أن يعدل عنه ويقول برأيه، لأن النبي ﷺ مؤيد من ربه وموكل إليه أن يبين للناس ما نزل إليهم، فمن يترك ما يصح عن النبي ﷺ في التفسير إلى رأيه فهو قائل بالرأي المذموم.

ثالثاً: الأخذ بما صح عن الصحابة في التفسير، لأنهم أعلم بكتاب الله وأدرى بأسرار التنزيل ولما شاهدوه من القرائن والأحوال ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح ولا سيما علماؤهم كالأئمة الأربعة، الخلفاء الراشدين وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهم.

رابعاً: الأخذ بمطلق اللغة لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين وعلى المفسر أن يحترز من صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة،

(1) السيوطي، الإتقان 2/113.



روي البيهقي عن مالك رضي الله عنه أنه قال: (لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا)<sup>(1)</sup>.

### العلوم التي يحتاج إليها المفسر:

علوم العربية وأولها علم اللغة إذ به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها، قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب، ثم إنه لا بد من التوسع والتبحر في ذلك لأن اليسير لا يكفي، إذ ربما كان اللفظ مشتركا والمفسر يعلم أحد المعنيين ويخفى عليه الآخر وقد يكون هو المراد.

وعلم النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره، أخرج أبو عبيدة عن الحسن، أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتبس بها حسن المنطق ويقوم بها قراءته، فقال حسن فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها.

ومنها علم الصرف قال ابن فارس، إن الكلمة تتضح بمصادرهما وحكي السيوطي عن الزمخشري أنه قال: (من بدع التفاسير قول من قال: إن الإمام في قوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِئْمَانِهِمْ}<sup>(2)</sup>. جمع أم وإن الناس يوم القيامة يدعون بأسمائهم دون آبائهم، قال، وهذا غلط أوجب جهله بالتصريف فإن أما لا تجمع على أمام<sup>(3)</sup>).

ومنها علم القراءات، إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

(1) الذهبي، التفسير والمفسرون 1/273.

(2) سورة الإسراء الآية: 71.

(3) الزمخشري.

ومنها علم أصول الفقه، إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها ويعرف العموم والخصوص والإطلاق والتقيد ودلالة الأمر والنهي وماسوي ذلك من كل ما يرجع إلى هذا العلم.

ومنها علم أسباب النزول لأنه يعين على فهم المراد ومنها علم الناسخ والمنسوخ وبه يعلم المحكم من غيره ومن فقد هذا العلم ربما افتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والأضلال<sup>(1)</sup>.

### ومنها علم الموهبة

وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ} <sup>(2)</sup>. يقول الخطيب البغدادي (العلم شجرة والعلم ثمرة وليس يُعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً) <sup>(3)</sup>. فالعمل بالعلم يؤثر مزيداً من العلم والتقوى. جاء في تفسير القرطبي في تفسير الآية (واتقوا الله ويعلمكم الله) هذا وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه، أي يجعل الله في قلبه ابتداءً فرقاناً، أي فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل <sup>(4)</sup>.

ومتى سلك المفسر هذا الطريق الذي بناه من المعرفة بأصول التفسير وامتلاك أدواته من علوم الفقه واللغة كان تفسيره صحيحاً على منهج علمي رصين ومتى تنكب الطريق ولم يكن له علم بهذه الأدوات كان الضلال والإضلال.

(1) الذهبي - التفسير والمفسرون.

(2) سورة البقرة الآية: 282.

(3) الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم بالعمل، 109.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 406/2 مؤسسة مناهل العرفان - بيروت.

## الإسرائيليات:

المقصود بالإسرائيليات هو أثر اليهود والنصارى في تفسير القرآن الكريم، ولعل اليهود كانوا أكثر أثراً بحكم وجودهم في المدينة وقد دخل بعضهم في الإسلام أمثال عبد الله بن سلام وكعب الأحمري وغيرهم وقد كان بعض الصحابة يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص التي وردت في القرآن ولكنها مجملة غير مفصلة وكانوا لا يحكمون بصدق أو كذب تلك الأخبار<sup>(1)</sup>.  
امثالاً لقول رسول الله ﷺ: (لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنوا بالله وما أنزل إلينا .....)<sup>(2)</sup>.

وكان الصحابة لا يسألون أهل الكتاب عن شئ يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام إلا إذا كان على جهة الاستشهاد والتعويد لما جاء في القرآن.  
ولم يخرج الصحابة رضي الله عنهم عن دائرة الجواز التي حدها رسول الله ﷺ و عما فهموه من الإباحة في قوله ﷺ: (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)<sup>(3)</sup>.  
قال الحافظ بن حجر في الفتح، قال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحديث بالكذب – والمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم<sup>(4)</sup>.  
ولاشك أن التفسير دخل فيه بعد ذلك في عصور التدوين كثير من الإسرائيليات مما هو صحيح وغير صحيح.

(1) الذهبي، التفسير والمفسرون ج 1، ص: 169.

(2) البخاري كتاب التفسير مجلد 8، ص: 120 من فتح الباري.

(3) مجلد 6، ص: 329 – فتح الباري.

(4) البخاري، ج 8 ص: 120.

**يقول ابن خلدون:**

إن بعض علماء أهل الكتاب كانوا يعرفون ما لا تعرفه العامة ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لاتعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثن والملاحم، مثل كعب الأحبار ووهب به منبه وعبد الله سلام فامتألت التفاسير من المنقولات عنهم وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة، وتساهل المفسرون في مثل ذلك<sup>(1)</sup>.

ولاشك أن الإسرائيليات منها ما هو صحيح ومنها ما هو كذب ومنها ما هو مسكوت عنه فلا نؤمن به ولا نكذبه تجوز حكايته لما تقدم من قول النبي ﷺ<sup>(2)</sup>.

**الجرح والتعديل في الحديث النبوي:**

علم الجرح والتعديل هو العلم الذي ابتكره المسلمون ليتمكنوا من خلاله من ضبط احوال الرواية والتأكد من السند الذي يصل عن طريقه الخبر، وقد تميز المسلمون بهذا العلم فلا يوجد مثيل له لدى أمة من الامم ويعرف العلماء الجرح والتعديل بأنه (العلم الذي يتعلق ببيان مرتبة الرواة من حيث تضعيفهم أو توثيقهم بتعابير فنية متعارف عليها عند العلماء).

ويعرفه علماء الحديث بأنه (علم يتعلق ببيان مرتبة الرواة من حيث تضعيفهم أو توثيقهم)<sup>(3)</sup>.

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص: 490.

(2) البخاري ج 8، ص: 297 من فتح الباري.

(3) اكرم ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة - مصيفة الارشاد بغداد 1967م، ص: 161.

ويرجع التفتيش عن الرجال إلى جيل الصحابة، وذلك لأنهم تشددوا في قبول الرواية ليتورع الناس عن التحدث عن النبي ﷺ، ولعل أبابكر أول من فتنش عن الرجال حين سأل الصحابة عن الجدة هل تترث؟ فأجابه المغيرة بن شعبة أنها تترث السدس، فطلب منه أن يأتيه بشاهد فشهد محمد بن مسلمة<sup>(1)</sup>.

ومن أقوى أسباب ظهور علم الجرح والتعويل، حركة الوضع في الحديث، وقد أدى ذلك إلى الاهتمام بالرجال ومعرفة فتكلم عدد من التابعين في الجرح والتعديل منهم: الشعبي ومحمد بن سيرين وسعيد بن المسيب وسعيد بن جببر – ولكن لم يتسع هذا العلم إلا في منتصف القرن الثاني الهجري حيث كان لشيوع الوضع وكثرة الضعفاء بين رواة الحديث دور في لفت أنظار العلماء إلى الكلام في الرجال وقد ظهر عدد من الأئمة النقاد والمحدثين الكبار بمعرفة أحوال الرجال ونقدمهم<sup>(2)</sup>.

وأصبحت أحكامهم على الرجال مقبولة عند العلماء المعاصرين والمتأخرين لما تميزوا به من الدقة والورع.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم في عهد رسول الله ﷺ يأخذون الأحكام من القرآن الكريم ويرجعون إلى رسول الله ﷺ فيما خفي عليهم فقد كانت كثير من الآيات تنزل مجملة غير مفصلة أو مطلقة غير مقيدة<sup>(3)</sup>.

وبلغ حرص الصحابة إلى درجة كبيرة ومضى على هديهم التابعون من بعدهم، فهذا إمام التابعين سعيد بن المسيب رضي الله عنه يقول: إن كنت

(1) الذهبي، تذكرة الحفاظ 3/1.

(2) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - 707.

(3) مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع ط الكتاب الإسلامي، ص: 59.

لاسير ثلاثا في الحديث الواحد وكان الصحابة يدققون في تبليغ الحديث كما سمعوه منه ﷺ.

ولقد نشأ علم نقد الحديث بقبوله أو رفضه منذ عهد الصحابة إلا أنه كان على نطاق ضيق في حياة رسول الله ﷺ لأن الصحابة كانوا عدولا ضابطين ولم يكن أحدهم ليكذب على رسول ﷺ وإنما كانت غاية البحث في ذلك الوقت نوع من الطمأنينة القلبية كما فعل أبوبكر في موضوع ميراث الجدة الذي سبق ذكره.

وظهرت الفتن بعد ذلك فقد قتل عمر رضي الله عنه وقتل عثمان رضي الله عنه وأطلت الفتن برأسها وكان الوضع بعد ذلك في أحاديث الرسول ﷺ فبدأ الاهتمام بالكشف عن رجال السند والسؤال عنه وعدم قبول الحديث إلا مسندا.

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن ابن سيرين، قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة الكبرى، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم<sup>(1)</sup>. ونتيجة لهذا الميزان العلمي الدقيق الذي نتج من علم الجرح والتعديل قسم العلماء الحديث إلى ثلاثة أقسام:

صحيح وحسن وضعيف أما الصحيح فهو، ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي إلى رسول ﷺ أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه، ولا يكون شاذاً ولا مروداً ولا معللاً بعلّة قاذحة<sup>(2)</sup>.

(1) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر 84/1.

(2) ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ص: 28.

وفيما يلي نختصر التعريف ببعض هذه الصفات المطلوبة في الحديث الصحيح: العدل:-

فقد سئل عبد الله بن المبارك عن العدل، فقال:

من كان فيه خمس خصال: يشهد الجماعة ولا يشرب الشراب ولا تكون في دينه فرية ولا يكذب ولا يكون في عقله شيء<sup>(1)</sup>. ويعرف ابن حزم العدل بقوله:

هو من لم تعرف له كبيرة ولا مجاهرة بصغيرة، والكبيرة هي ما سماه رسول الله ﷺ كبيرة، أو ما جاء فيه الوعيد، والصغيرة هي ما لم يأت فيه وعيد<sup>(2)</sup>. ومحصلة الأمر أن العدالة ابتعاد الراوي عن الكذب وما يشينه في أعين الناس ولزومه لجادة الشريعة.

والجمهور على أن عدالة المخبر المطلوبة هي عدالة الشاهد، فقد أثنى رجل على رجل عند عمر، فقال له عمر: هل صحبته في سفر قط؟ قال: لا، قال: هل ائتمنته على أمانة قط؟ قال: لا، قال: هل بينك وبينه مداراة في حق؟ قال: لا قال: أسكت فلا أرى لك به علما، أظنك والله رأيت في المسجد يهمهم ويخفض رأسه ويرفعه<sup>(3)</sup>.

ويقول ابن عبد البر: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فأهل العلم محمولون على العدالة حتى يتبين منهم خلاف ذلك – ويقوي ذلك أن العناية بالعلم والشهرة به

(1) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، ص: 78.

(2) ابن حزم المحلي 393/2.

(3) البيهقي، السنن الكبرى 125/10.

تخرجه من حيز الجهالة وتجعل سهام النقد والتتبع مصوبة إليه فمن سلم من ذلك فيبقى على أصل مقتضى حمل العلم هو العدالة.  
وقد وضع علماء الجرح والتعديل للعدالة مراتب ودرجات ذكرها ابوحاتم الرازي بقوله:

وجدت الألفاظ في الجرح والتعديل على مراتب شتى، فإذا قيل للواحد، إنه ثقة أو متقن ثبت فهو ممن يحتج بحديثه وإذا قيل أنه صدوق أو محلة الصدق، أو لا بأس به فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه، وهي المنزلة الثانية، وإذا قيل شيخ فهو بالمنزلة الثالثة يكتب حديثه وينظر فيه، إلا أنه دون الثانية، وإذا قيل صالح الحديث فإنه يكتب حديثه للاعتبار .

وإذا أجابوا في الرجل بلين الحديث فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتباراً، وإذا قيل ليس بقوي فهو بمنزلة الأول في كتابة الحديث إلا أنه دونه.  
وإذا قيل ضعيف الحديث فهو دون الثاني يطرح حديثه بل يعتبر به وإذا قيل متروك الحديث أو زاهب الحديث أو كذاب فهو ساقط الحديث، لا يكتب حديثه وهي المنزلة الرابعة<sup>(1)</sup>.

### الضبط:

تتشرك العدالة والضبط في بناء أساس الحديث الصحيح ومهما كان الراوي عدلاً تقياً لا بد من ضبط مروياته وإلا فلا يقبل حديثه في الصحيح.  
ويعرفه العلماء في الإصطلاح (أن يكون الراوي ثابتاً على حفظه صائناً كتابه الذي يحدث منه منذ التحمل إلى الأداء، ويعرفه ابن الأثير بقوله: (هو عبارة عن احتياط في باب العلم وله طرفان، العلم عند السماع والحفظ بعد العلم عند التكلم، حتى إذا سمع ولم يعلم لم يكن معتبراً، كما لو سمع صياحاً لا

(1) الرازي، الجرح والتعديل 37/1.



معنى له أو لم يفهم اللفظ بمعناه، لم يكن ضبطاً وإذا شك في حفظه بعد السماع والعلم لم يكن ضبطاً<sup>(1)</sup>.

### والضبط نوعان:

[1] ضبط صدر، أي اتقان قلب وحفظه، وهو أن يثبت الراوي في حفظه ما سمعه بحيث يمكنه استخصاره متى شاء، وقد اشترط الحنفية، أن يكون الراوي مستمر الضبط من وقت التحمل إلى وقت الأداء، وكان أبو حنيفة يقول، لا يحدث الرجل إلا بما يعرف ويحفظ<sup>(2)</sup>.

### [2] ضبط كتاب:

وهو أن يصون كتابه الذي كتب منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه ولا يدفعه إلى من لا يصونه، أو يمكن أن يغير فيه أو يبديل<sup>(3)</sup>.

### كيف يعرف الضبط:

يعرف الضبط بتسجيل ما يروونه في كتاب، كما فعل مروان بن الحكم رحمه الله مع أبي هريرة رضي الله عنه فقد استدعاه وأجلس كاتباً خلف السرير دون أن يعلم أبو هريرة وجعل يسأله، والكاتب يكتب فلما حال الحول دعا مروان أبا هريرة، وأجلس الكاتب من وراء الحجاب، وجعل يسأله عما سأله عنه سابقاً من ذلك الكتاب، فأجابه دون زيادة ولا نقصان دون تقديم ولا تأخير<sup>(4)</sup>.

(1) ابن الأثير، جامع الأصول 35/1، تصحيح محمد حامد الفقي.

(2) ابن الصلاح، المقدمة 222.

(3) الصنعاني، توضيح الأفكار 120/2.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء 431/2.

ومثله ما حدث للزهري مع هشام بن عبد الملك فقد سال الزهري أن يملي علي بعض ولده، فدعا بكاتب عبد الملك فأملى عليه اربعمائة حديث، ثم خرج الزهري من عند هشام، فقال: أين أنتم يا أصحاب الحديث؟ فحدثهم بتلك الأربعمائة ثم أقام هشام شهرا أو نحوه، ثم قال للزهري: إن ذلك الكتاب الذي أملت علينا قد ضاع قال الزهري: فلا عليك، أدع بكاتب فحدثه بالأربعمائة، ثم قابل هشام بالكتاب الأول فإذا هو لا يغادر حرفا واحدا<sup>(1)</sup>.

### الحكم علي الرواية:

إذا ادعى شخص أنه سمع من المحدث أو الصحابي رواية معينة ولم توجد روايته هذه عند غيره وخاصة من لازموه وعرفوا حديثه، يحكم علي الرواية بالوضع إن كان غير ثقة، وبالوهم والغلط أو الغرابة إذا كان عدلا ثقة ضابطا، يقول الإمام الذهبي في ذلك:

إن الحفاظ الثقات إذا انفرد الرجل منهم من التابعين فحديثه صحيح، وإن كان من الأتباع، قيل صحيح غريب، وإن كان من أصحاب الأتباع، قيل غريب فرد، ويندر تفردهم فنجد الإمام عنده مائتا ألف حديث لا يكاد ينفرد بحديثين أو ثلاثة<sup>(2)</sup>.

وقد يسر الله للسنة رجالا معدودين كانت الأحاديث بمجموعها تدور عليهم لأنهم قد طافوا البلاد لجمعها وسماعها وقصدهم الطلاب من جميع الأمصار والأقطار:

يقول علي بن المديني: دار حديث الثقات علي سنتنا رجلان بالبصرة ورجلان من الكوفة ورجلان من الحجاز وهؤلاء الستة هم:

(1) ابن عساکر - تاريخ الإسلام، ص: 89.

(2) الذهبي، الموقظة في علم مصطلح الحديث، ص: 77.

### البصرة:

[1] قتادة ت 117هـ.

[2] يحيى بن كثير ت 132هـ.

### الكوفة:

[1] أبو اسحق السبيعي (ت 127).

[2] الأعمش (ت 148).

### الحجاز:

[1] الزهري (ت 124).

[2] عمرو بن دينار (ت 126)<sup>(1)</sup>.

ثم صار حديث هؤلاء إلى اثني عشر<sup>(\*)</sup>

وقد أدى هذا المنهج في جميع الروايات ومقابلتها أن أحصوا ما لكل صحابي من حديث وعددها واحدا واحدا ومن روى أحاديثهم عنهم من التابعين وما تفرد به كل تابعي ومن رواها عنهم من أتباع التابعين<sup>(2)</sup>.

### السند:

السند في الاصطلاح هو طريق المتن<sup>(3)</sup>. أي سلسلة الرواة الذين نقلوا المتن من مصدره الأول وسمي هذا الطريق سندا لاعتماد الحفاظ على المسند

(1) المدني، العلل، ص: 38.

(\*) هم سعيد بن أبي عروبة وشعبة ومعمرو وحماد بن سلمة وأبو عوانة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وابن جريج ومالك ومحمد بن اسحق والأوزاعي وهشيم بن بشير وجميعهم عاشوا في القرن الثاني (وفياتهم بين عامي 159هـ - 183هـ).

(2) د. فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دار السلام، القاهرة 2008، ص: 183.

(3) المتن هو ألفاظ الحديث التي تقوم بها معانيه .

في معرفة صحة الحديث<sup>(1)</sup>، والإسناد من خصائص هذه الأمة دون غيرها من الأمم إذ لم يكن لأمة من الأمم نقل الخبر بهذه الكيفية، يقول الإمام محمد بن حزم:

ونقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال، خص الله به المسلمين دون سائر الملل، أما مع الإرسال والإعضال فيوجد لدى اليهود ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ.

بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط وأما النقل بالطريق المشتبهة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى<sup>(2)</sup>.

ولما كان للإسناد هذه الأهمية العظيمة فقد جعله الأئمة من الدين يقول شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك: (الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)<sup>(3)</sup>.

وأخرج الخطيب البغدادي بسنده إلى القاسم بن بندار قال: سمعت أبا حاتم الرازي يقول: (لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة، فقال له رجل يا أبا حاتم، ربما رووا حديثا لا أصل له ولا يصح، فقال: علماءؤهم يعرفون الصحيح من السقيم فروايتهم ذلك للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها)<sup>(4)</sup>.

(1) الصلاح، تدريب الراوي، ص: 5.

(2) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل 81/2.

(3) مسلم - مقدمة الصحيح 15/1.

(4) الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص: 43.

ولما كان الإسناد قربة إلى الله كان لابد منه في كل أمر من أمور الدين، بل جعله المسلمون كذلك وكان الاعتماد عليه في الأخبار النبوية والأحكام الشرعية والمناقب والفضائل والمغازي والسير<sup>(1)</sup>.

وعليه فإن علماء الحديث قسموا أنواع الخلل في الحديث بناء على قواعد الضبط والسند الذي ذكرناه باختصار شديد، فكان الحديث المرسل هو ما سقط منه الصحابي والمنقطع هو الذي سقط منه راو قبل الصحابي أو ذكر فيه راو مبهم والمعضل هو ماسقط من إسناده راويان فأكثر والمدلس منه تدليس الإسناد وهو أن يروي الراوي عن عاصره ما لم يسمعه منه موهماً سماعه والثاني تدليس الشيوخ بأن يسمي شيخه أو يكتنيه أو يصفه بما لا يعرف<sup>(2)</sup>. إلى غير ذلك من المعلق والموقوف والمقطوع مما لا يتسع ذكره في هذه العجالة.

### السيرة والتاريخ:

#### السيرة:

تتميز سيرة النبي ﷺ عن سيرة الأنبياء السابقين عليهم السلام بصحة المصادر التي تعتمد عليها. و أول هذه المصادر هو القرآن الكريم وقد سبق الحديث عن تكفل الله بحفظه وما بذله المسلمون علي مر الأجيال في حفظ وتدوين النص القرآني. والمصدر الثاني هو الحديث النبوي وقد سبق الحديث عن تدوين السنة ونشأة علم الجرح والتعديل الذي قصد منه صيانة نصوص السنة من الكذب والتدليس أما المصدر الثالث فهو كتب السيرة والتاريخ وهو ما نسوق الحديث عنه.

(1) فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ص: 212.

(2) انظر معرفة علوم الحديث للحاكم ومقدمة بن الصلاح والمنهاج شرح صحيح مسلم.

## مؤلفو السيرة الأوائل:

الطبقة الأولى من هؤلاء تابعون كرام من جلة علماء الحديث، أبرزهم أبان ابن عثمان بن عفان المتوفى سنة 105هـ وعروة بن الزبير بن العوام المتوفى (94هـ) وشرحبيل بن سعد المتوفى 123هـ، ووهب بن منبه المتوفى (114هـ)، فأبان كان ثقة في الحديث واحد الفقهاء المعدودين .

أما عروة بن الزبير فقد نشأ بالمدينة وأخذ العلم عن الصحابة مثل زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وسعيد بن زيد وحكيم بن حزام وتفقه عن خالته الصديقة عائشة رضي الله عنها وكان كما يقول الزهري بحرا لا ينزف<sup>(1)</sup>. وقد روى عنه بنوه هشام ومحمد وعثمان ويحيى وعبد الله وأبو الزناد وابن المنكدر.

ولم يكتف بذلك بل دون حوادث الصدر الأول ووصلنا بعض رسائله في كتب ابن إسحق والواقدي والطبري<sup>(2)</sup>. وأما شرحبيل بن سعد فهو مولى الأنصار وقد عمّر أكثر من مائة سنة وروى عن الصحابة، يقول موسى بن عقبة: (إن شرحبيل دونّ قوائم بأسماء المهاجرين إلى المدينة وأسماء الرجال الذين اشتركوا في واقعتي بدر وأحد ومن هاجر إلى الحبشة)<sup>(3)</sup>.

أما وهب بن منبه فيزيد على الثلاثة السابقين من هذه الطبقة بما عنده من علم أهل الكتاب، فيقول الإمام الذهبي: وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير وقد صرف عنايته إلى ذلك وبالغ فيه<sup>(4)</sup>.

(1) الذهبي، طبقات الحفاظ 62/1 ط1.

(2) يوسف هورفتش مستشرق المغازي الأولى ومؤلفها، ص: 19 ترجمة حسين نصار.

(3) المصدر نفسه، ص: 26، ابن سعدي الطبقات 160/1.

(4) الذهبي تذكرة الحفاظ 101/1.

وهو من أصل فارسي استقرت أسرته باليمن تحت حكم كسرى أنو شروان وعرفوا بالأبناء وجمع وهب كتابا في المغازي توجد قطعة منه في (هيدلبرج) بالمانيا وقد كتبت سنة 228هـ رواها عبد المنعم وهو حفيد وهب، عن أبيه عن أبي إلياس عن وهب<sup>(1)</sup>.

وجاء بعد هؤلاء طبقة أخرى تتلمذوا عليهم منهم:

موسى بن عقبة ومعمر بن راشد ومحمد بن إسحق ومحمد بن عمر الواقدي – أما موسى بن عقبة فهو مولى لآل الزبير بن العوام واشتهر بمصنفه في المغازي ووثقه أهل العلم، يقول مالك بن أنس رحمه الله: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنها من اصح المغازي<sup>(2)</sup>. ويقول الإمام أحمد: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة<sup>(3)</sup>.

أما معمر بن راشد أبو عروة الأزدي مولاهم البصري فقد نشأ بالبصرة ثم رحل إلى اليمن، يصفه بن سعد: فيقول: كان معمر رجل له حلم ومروءة ونبل في نفسه كما كان واسع العلم بالحديث والسير وهو أول من صنف باليمن ومات بصنعاء سنة ثلاث وخمسين ومائة<sup>(4)</sup>.

أما محمد بن إسحق فهو عمدة المؤلفين في السيرة ويمكننا القول: ما من كتاب وضع في السيرة بعد ابن اسحق إلا وهو غرفة من بحره وقد اختلفت الروايات حوله فقد وثقه غير واحد من الأئمة منهم ابن شهاب الزهري وشعبة والثوري.

(1) يوسف هورفتش المغازي الأولى ومؤلفوها، ص: 26.

(2) ابن حجر تهذيب التهذيب، 361/10.

(3) الذهبي، تذكرة الحفاظ 148/1.

(4) المصدر نفسه 193/1.

يقول عنه الإمام الذهبي والذي تقرر عليه العمل أن ابن اسحق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية مع أنه يشذ بأشياء وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام نعم ولا هو بالواهي بل نستشهد به<sup>(1)</sup>.

وجاء في ترجمته كذلك: محمد بن إسحق بن يسار، كان من الموالى يرجع في نسبه إلى أهل فارس وقد ولد سنة 85هـ ونشأ في المدينة وكان بها طائفة كبيرة من العلماء، فسمع منهم وأخذ عنهم، منهم محمد بن أبي بكر وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ونافع مولى عبد الله بن عمر وابن شهاب الزهري، ثم رحل إلى مصر سنة 115هـ وسمع من يزيد بن أبي حبيب ثم عاد بعد ذلك إلى المدينة، فكان يجمع الأحاديث وخاصة ما يتصل منها بالمغازي حتى اشتهر بها، وكان الإمام الشافعي يقول:

من اراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال علي محمد بن إسحق<sup>(2)</sup>.

وهكذا يمكننا القول أن السيرة النبوية، تميزت على غيرها من سير الانبياء عليه السلام بأن مصادرها موثقة، وقد تحدث القرآن كثيرا عن سيرة النبي ﷺ وكذلك الأحاديث النبوية ولكن ماورد من السيرة في كتب السيرة والتاريخ فإن العلماء قد تولوا تحقيقه وتمحيصه وبالطبع فيه الأخبار الصحيحة والضعيفة والموضوعة.

ولم تحظ سيرة نبي من الأنبياء وبذل فيها جهد علمي مثل ما حظيت

سيرة نبينا محمد ﷺ.

(1) الذهبي، تذكرة الحفاظ دار الفكر العربي، بمصر، ص: 193/1.

(2) مولانا محمد علي، حياة محمد ورسائله، ترجمة منير البعلبكي ط 1 بيروت، ص: 28.



## التاريخ:

من فوائد علم التاريخ ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلاً ولقد أحسن القائل حيث يقول:

رأيت العقل عقليين فمطبوع ومسموع

فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

كـمـالـا يـنـفـع الشـمـس وـضـوء العـيـن مـمـنـوع

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، ولقد أورد القرآن الكثير من الآيات بغرض التفكير في التاريخ وأحداث الماضين ومن ذلك قوله تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)<sup>(1)</sup>.

وقد اختلط التاريخ مع تراجم الرجال الذين كانوا هم صانعي التاريخ ومع تواريخ المدن كتاريخ دمشق، وتاريخ بغداد لمؤلفه الخطيب البغدادي وقد جمع فيه 783 من تراجم الرجال، والخطيب من علماء الحديث وقد شرط على نفسه ألا يترجم إلا لمن روى بعض الحديث وهو يثبت بعض الأحاديث لصاحب الترجمة فالكتاب بجانب أنه كتاب تاريخ فهو كتاب للحديث ومعجم للتراجم<sup>(2)</sup>.

وكانت المؤلفات على اختلافها في النوع والمشرّب تنقل الأحداث بالإسناد وهي طريقة الرواية لكل علم في ذلك العصر وأهم ما يدور عليه التعديل والتجريح هو رجال السند.

(1) انظر ابن الأثير الكامل في التاريخ: 9/1.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

ولقد سرت مناهج المحدثين في التعديل والتجريح إلى علم التاريخ فقد اشترطوا في المؤرخ ما اشترطوه في راوي الحديث، العدالة مع الضبط التام الناشئ عن مزيد الإتقان والتحري<sup>(1)</sup>.

ومن تلك الضوابط ما أشار إليه الإمام السبكي في طبقات الشافعية إذ

يقول:

لابد أن يكون المؤرخ عالماً عادلاً عارفاً بحال من يترجمه وليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ولا من العداوة ما يحمله على الضغن منه، وربما كان الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة واعتقاد أنهم على ضلال فيقع فيهم أو يقصر في الثناء عليهم.

فهذه تسعة شروط في المؤرخ وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم فإنه يحتاج إلى المشاركة في علمه والقرب منه حتى يعرف مرتبته<sup>(2)</sup>.

هذه الشروط التي وضعها الإمام السبكي سبق بها علماء التاريخ الأوربيين المحدثين، فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية في حديثه عن السيرة والتاريخ: (إن الذي يكتب سيرة شخص ما يعوقه عادة التحقق من المصادر، فمن المستحيل في كثير من الأحيان التأكد من صحة الأدلة المكتوبة المتوافرة، فليس هناك شهود يمكن استجوابهم ولم تؤسس بعد أساليب لمعالجة هذه الإشكالات).

(1) السبكي طبقات الشافعية الكبرى 22/2 تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو.

(2) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، 22/2 تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو.

ومما يؤتى في نتائج الجهد مدى أصالة المعالجة للثغرات التي توجد في السيرة المعنية من خلال دراسة العصر الذي عاش فيه صاحب السيرة<sup>(1)</sup>.

وباتباع هذه القواعد أمكن لعلماء التاريخ المسلمين نقد الروايات التاريخية ، ولكن لم يتم ذلك بنفس الدقة التي تم بها في علم الحديث. وجاء ابن خلدون بعد ذلك ليضع منهاجاً جديداً يتخلص به المؤرخون من التناقضات التي ترد أحياناً في كتب التاريخ.

يقول ابن خلدون (إن المؤرخ محتاج إلى معارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يقضيان بصاحبهما إلى الحق لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، فربما لم يؤمن فيها من العثور وزلة القدم والحيد عن جادة الصدق<sup>(2)</sup>).

ويضيف ابن خلدون قائلاً: (يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من وفاق أو بون، وما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف. وحينئذ يعرض خبرة المنقول على ما عنده من الأصول فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان وإلا زيفه واستغنى عنه<sup>(3)</sup>).

(1) Encyclopedica Britannica, volum .2.P.1006 william Benton, Publisher 1943 London.

(2) ابن خلدون، المقدمة 362/1.

(3) ابن خلدون - المقدمة 399/1.

### اللغة والأدب:

حفظ الله الدين بتجديده من كل وقت وحين كما جاء ذلك في معنى حديث رسول الله ﷺ بأن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها وكذلك العربية فإن الله يسوق لها في كل وقت وحين أديباً من الأدباء وعالماً من العلماء ذا صدر رحيب وعزيمة راتبة ودراية صائبة ونفس سامية وهمة عالية يحب الأدب ويتعصب للعربية فيجمع شملها ويكرم أهلها ويحرك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها ويستدعي التأليفات البارعة بتجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها(1).

ولم يقتصر منهج الجرح والتعديل علي الحديث والتاريخ والسيرة إنما تعداه للغة العربية وعاء القرآن وعلومه فظهرت الحاجة إلى جمع اللغة وتدوينها خدمة للدين ومحافظة عليه وبلغ هذا النشاط أوجه في القرن الثامن والثالث من الهجرة وانعكس منهج المحدثين على اللغة والأدب فأتجه اللغويون إلى جمع اللغة التي نطق بها العرب وتحديد معاني الكلمات فرحل العلماء إلى البادية بمدادهم وصحفهم يسمعون ويكتبون ورحل عرب البادية إلى الحضر ليؤخذ عنهم(2).

ونشأ لديهم جرح وتعديل في تحديد المصادر وفي نقلتها من مصادرها – فكانوا لا يأخذون عن العربي إذا فهم الملحون في الكلام وحددوا مصادرهم لجمع اللغة بدقة على أساس الترتيب التالي:-

[1] كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(1) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية - المكتبة التوفيقية مصر، ص:16.

(2) احمد أمين، ضحي الإسلام 252/2.

## [2] الأحاديث النبوية.

[3] الآثار العربية في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية الأولى<sup>(1)</sup>.

وكان علماء اللغة ومدونوها شديدي الحيلة في أخذهم للغة وتحريمهم عن مصادرهم فكانوا يتحاشون الأخذ عن تشوب لغته أية شائبة ولذلك كانوا لا يأخذون إلا عن عرب البادية لفصاحة ألسنتهم وبعد لهجاتهم عن التأثر باللغات الأعجمية وعزلتهم وقلة احتكاكهم بغيرهم، فكانوا يترقبون مجئ الأعراب إلى المدن في التجارة أو غيرها فيستمعون إلى حديثهم ويدونون من فورهم كل ما يهديهم إليه هذا الحديث وترشدهم إليه هذه المناقشة<sup>(2)</sup>.

وممن خرج إلى البادية وأقام بين أهلها، النضر بن شميل المازني إذ يقول: أقيمت بالبادية أربعين سنة، وممن خرج إلى البادية يونس بن حبيب (ت183هـ) والخليل بن أحمد (ت160هـ) والإمام الشافعي (ت205هـ) وغيرهم<sup>(3)</sup>.

والذين أخذ عنهم اللسان العربي واقتدى بهم من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد فهم الذين عنهم أكثر ما أخذ وعليهم اتكل في الغريب والإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل وبالجملة لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن جاور سائر الأمم الأخرى، فلم يؤخذ عن لحم ولا جذام لمجاورتهم القبط ولا من قضاة وغسان وأياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن لمجاورتهم اليونان ولا من

(1) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة ص: 170.

(2) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة ص: 170.

(3) نزهة الألباء ص: 85.

النبط والفرس ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين لأهل فارس والهند ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار الحبشة والهند ولا من ناحية حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا العربية صادفهم حين ابتدأوا ينقلون العربية قد خالفوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم<sup>(1)</sup>.

وما اتخذوه من وسائل الحيلة حيال الأمكنة اتخذوه كذلك حيال الأزمنة والعصور فلم يأخذوا إلا عن العصور التي كان فيها اللسان العربي سليماً وسموا العصور التي يعتمد عليها عصور الاحتجاج، وهي حتى نهاية القرن الثاني الهجري بالنسبة إلى فصحاء البادية<sup>(2)</sup>.

وكذلك مما اتبع في توثيق نقل اللغة على نمط الحديث أنهم رتبوا ما ورد فيها ترتيب أهل الحديث، ففصح وأفصح وجيد وأجود وضعيف ومنكر ومتروك وذلك لأنهم حددوا طريقاً لثبوت اللغة، فإذا استوفت الكلمة جميع الأمور المتطلبة فهي سليمة وإلا نزلت عن درجة الاحتجاج وقالوا: لا تلزم اللغة إلا خمسة شرائط:

- [1] ثبوت ذلك عن العرب بسند صحيح يوجب العمل.
- [2] عدالة الناقلين، كما تعتبر عدالته في الشرعيات.
- [3] أن يكون النقل عن قوله حجة في أصل اللغة.
- [4] أن يكون الناقل سمع منهم حساً، أما لغيره فلا<sup>(3)</sup>.

(1) السيوطي، المزهر 1/212 .

(2) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 172.

(3) السيوطي، المزهر، ونقل عن الزركشي في البحر المحيط.

فعدالة الناقل في اللغة هي العمدة وكما قيل: وما آفة الأخبار إلا روايتها، ولهذا حددوا مقبول الرواية من مردودها، يقول ابن فارس: تؤخذ اللغة سماعاً من الرواة الثقة ذوي الصدق والأمانة ويتقى المظنون<sup>(1)</sup>.

وقال ابن الأنباري: يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلاً، رجلاً أو امرأة حراً كان أو عبداً كما يشترط في نقل الحديث، لأن بها معرفة تفسيره وتأويله فاشترطوا في نقلها ما اشترطوه في نقله، وإن لم تكن في الفضيلة من شكله، وإن كان ناقل اللغة فاسقاً لم يقبل نقله<sup>(2)</sup>.

وقد اضطر علماء اللغة كعلماء الحديث إلى تجريح الرجال وتعديلهم، فعدلوا الخليل بن أحمد وأبا عمرو بن العلاء وجرحوا قطرباً، وهو الذي قال فيه ابن السكيت: كتبت عن قطب ثم تبينت أنه يكذب في اللغة، فلم أذكر عنه شيئاً، ولكنهم مع ذلك لم يبلغوا مبلغ المحدثين في هذا الشأن<sup>(3)</sup>.

ومن أشهر الوضاعين في اللغة، خلف الأحمر (ت 180هـ) بصري، وحماد الراوية (ت 155) كوفي، قال ابن الأعرابي: سمعت الفضل الضبي يقول: قد سلط على الشعر حماد الراوية، وما أفسد فلا يصلح ابداً، فقيل له: ايخطئ في روايته؟ أيلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، فلا يزال يقول الشعر، يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد<sup>(4)</sup>.

(1) المصدر نفسه 137/1.

(2) السيوطي، المزهر، 1/ 138.

(3) السيوطي، المزهر، 1/ 175.

(4) أحمد أمين، ضحي الإسلام 309/2.

وكان أهل اللغة يمتحنون من تحوم حولهم الشبهة كما كان يفعل المحدثون، قال أبو عبد الله المفجّع (ت320هـ) كان المبرد لعظم حفظه اللغة وإتساعه يتهم فتوافقتنا على مسألة لا أصل لها فسألته عنها لننظر كيف يجيب – وكنا قبل ذلك قد تمارينا في عروض بيت الشاعر:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وتردد على أفواهنا تقطيعه (قبعضنا) فقلت له: أيدك الله تعالى من القبعض؟ عند العرب؟ فقال: القطن، يصدق ذلك قول الشاعر:

كأن سنامها حشو القبعضا

قال: قلت لأصحابه، ترون الجواب والشاهد، فإن كان صحيحا فهو عجيب وإن كان اختلق الجواب في الحال فهو أعجب<sup>(1)</sup>.

وهكذا نجد أن أهل اللغة والأخبار لم يهملوا البحث عن أحوال اللغات ورواتها جرحا وتعديلا وساروا على نفس المنهج الذي سار عليه أهل الحديث مما يؤكد وحدة المنهج العلمي في العلوم الإسلامية وما يتصل بها من علوم العربية والأدب.

(1) نزهة الألباء ص 220.



### الخاتمة:

في ختام هذا البحث الذي كان هدفه بيان المنهج الذي دونت به العلوم الإسلامية، وقد بدأت بتدوين القرآن وفي ذلك تجاوز في العبارة ذلك أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ بواسطة جبريل فهو لا يشبه كلام البشر وإنما كان قصدي أن أبين أن منهج القرآن الكريم هو منهج الله في الكون وفي خلق الإنسان، وهو منهج يقوم على رفع شأن العلم والعلماء. وقد تم تدوين القرآن الكريم بمنهج علمي رصين لا يتطرق إليه الشك أبداً وحفظ الله كتابه على مر الأجيال وقد سخر له خيرة الخلق والعباد في كل وقت وحين.

وانداح منهج تدوين القرآن إلى تدوين السنة الشريفة وابتكر المسلمون علم الجرح والتعديل لتمحيص السنة والإسناد، وقد استمر هذا المنهج العلمي في تدوين بقية العلوم الإسلامية ولكن بدرجة أقل من حيث الضبط والبعد عن كل خبر فيه ضعف ووهن فكان تفسير القرآن على هذا المنهج بالرغم من ظهور الإسرائيليات والتفسير المذموم في بعض مراحل التدوين كما محص العلماء وبيّنوا الحديث الصحيح والحسن والضعيف وكذلك طبق هذا المنهج في تدوين السيرة والتاريخ فضلاً عن اللغة والأدب.

وكان ذلك بما لا يدع مجالاً للشك وسيلة علمية مرموقة للحفاظ على نصوص الدين وأحكامه وشريعته وهذا مما كرم الله به هذه الأمة وجعلها خير أمة أخرجت للناس وجعل شريعته هي الأمل الوحيد لإنقاذ البشرية من ضلال الشرك والوثنية والمادية والإباحية التي توشك أن تصل بها إلى الهاوية السحيقة.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

### نتائج البحث:-

- [1] القرآن الكريم هو أساس العلوم الإسلامية.
- [2] منهج تدوين القرآن طبق في تدوين العلوم الأخرى.
- [3] ابتكر المسلمون علم الجرح والتعديل لتمحص الرواية وحفظ أقوال الرسول ﷺ وصونها من الكذب والوضع .
- [4] المنهج الذي دونت به العلوم الإسلامية منهج علمي رصين.

## المصادر:

- [1] ابن الأثير – جامع الأصول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة الحلواني، ط الأولى.
- [2] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، بيت الأفكار الدولية، بيروت 2005م.
- [3] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى.
- [4] ابن الصلاح، المقدمة، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر – سوريا 1406هـ 1986م.
- [5] السيوطي، تدريب الراوي، مكتبة الرياض الحديثة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.
- [6] ابن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، دار الجيل، بيروت ط الثانية 1407هـ.
- [7] ابن المديني، العلل، محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ، بيروت 1980م.
- [8] ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت ط الأولى 1404هـ 1984م.
- [9] ابن حجر، فتح الباري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر القاهرة 1959م.
- [10] ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، مكتبة الخانجي القاهرة.
- [11] ابن حزم، المحلي، لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- [12] ابن خلدون المقدمة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر القاهرة الفجالة 1401 هـ ط الثالثة .
- [13] ابن عساكر، تاريخ الإسلام.
- [14] ابن كثير، الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث، مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر، دمشق 1997م ط الثانية.
- [15] البيهقي - السنن الكبرى، مكتبة دار الباز، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة 1994م .
- [16] الترمذي، الجامع الصحيح، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [17] الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- [18] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.
- [19] الخطيب البغدادي شرف أصحاب الحديث، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق محمد سعيد خطي.
- [20] دائرة المعارف البريطانية، لندن 1973م William bentor publisher
- [21] الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، مصر الطبعة الثانية 1976م.
- [22] الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت 1998م .
- [23] الرازي، الجرح والتعديل دار إحياء التراث العربي بيروت 1952م.

- [24] الزمخشري، أساس البلاغة، الشركة الدولية للطباعة مصر 2003م.
- [25] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، هجر للطباعة والنشر 1413هـ، تحقيق د/ محمود محمد الطناحي.
- [26] السجستاني، كتاب المصاحف، تحقيق محمد عبده، دار الفروق الحديثة مصر 2002م.
- [27] السخاوي، الإعلان والتوبيخ لمن ذم التاريخ.
- [28] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية العامة للكتاب 1974م.
- [29] السيوطي، المزهرة في اللغة، دار الكتب العلمية بيروت 1998م تحقيق فؤاد علي منصور.
- [30] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين 2000م.
- [31] الصنعاني توضيح الأفكار، لمعاني تنقيح الأنظار، المكتبة السلفية المدينة المنورة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- [32] الطحاوي، مشكل الآثار.
- [33] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة.
- [34] فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دار السلام للطباعة والنشر، مصر 2008م.
- [35] مسلم، الجامع الصحيح، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت.
- [36] مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، المكتب الإسلامي، دمشق 1978م ط الثانية.